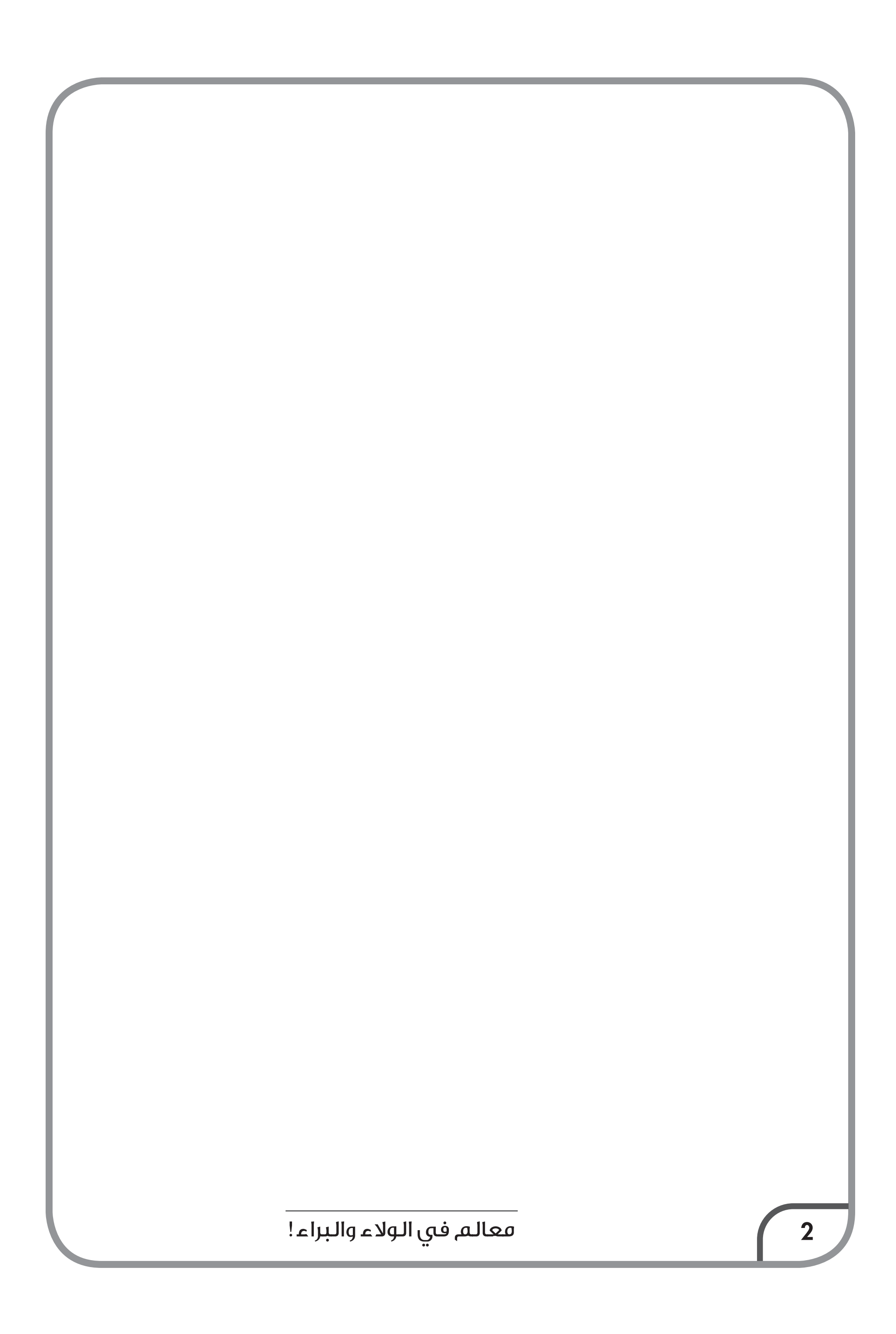
معالـم
في الـولاء والبـراء!
ويليه
التمسك بالثوابت

بقلم
محمد بن عبد الله الحصم

1435هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين وقائد الغر المحجلين محمد بن عبداللّه وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فالولاء والبراء أصل من أصول هذا الدين، وركن متين من أركانه، فالحديث عنه ذو أهمية بالغة في كل وقت.. كيف لا والإخلال به قد يكون ناقضاً يرتد به المسلم عن دينه ويكفر به بعد إيمانه.

فالولاء والبراء أوثق عرى الإيمان فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «أوثق عرى الإيمان الموالاة في اللّه والمعاداة في اللّه والحب في اللّه والبغض في اللّه». (رواه الطبراني وصححه الألباني).

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللّه ﷺ : «من أحب للّه وأبغض للّه، وأعطى للّه ومنع للّه فقد استكمل الإيمان» (رواه أبو داود وصححه الألباني).

والولاء والبراء من مقتضى شهادة التوحيد ولوازمها، فلا يستقيم الإسلام إلا بالولاء والبراء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه اللّه– : «فإن تحقيق الشهادة بالتوحيد يقتضي أن لا يحب إلا للّه ولا يبغض إلا للّه ولا يوالي إلا للّه ولا يعادي إلا للّه وأن يحب ما يحبه اللّه ويبغض ما أبغضه» (مجموع الفتاوى 8/337).

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله -: « إن الإنسان لا يستقيم له إسلام، ولو وحّد الله وترك الشرك إلا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء» (الدرر السنية 192/8).

والولاء والبراء من أكثر الأحكام تقريراً في الكتاب والسنة، بل كما قال العلماء : «ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أَبْيَن من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده» (النجاة والفكاك 14).

وبترك الولاء والبراء تحصل الفتنة والفساد الكبير في الأرض قال «عز وجل» : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (الأنفال 73).

قال العلامة ابن كثير – رحمه الله – : «إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت فتنة في الناس، وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل». (تفسير ابن كثير 435/2).

ومع هذا كله فإننا نرى غياب هذا الأصل وخفاءه واندراس معالمه في واقع الناس اليوم، دولاً وجماعاتٍ وأفراداً، حتى أصبح الولاء والبراء عند الكثير مجرد نظريات لاحظ لها من التطبيق، وأقوالاً لا تترجم إلى عمل، وشعارات لا نصيب لها من الواقع،

ومبدءًا ينتقض بأدنى مسوغ.

بل في المقابل نرى الدعوات الكثيرة لتمييع هذا الأصل والتساهل فيه، كمثل الدعوة إلى تقارب الأديان، أو الدعوة إلى التقارب بين السنة والرافضة.

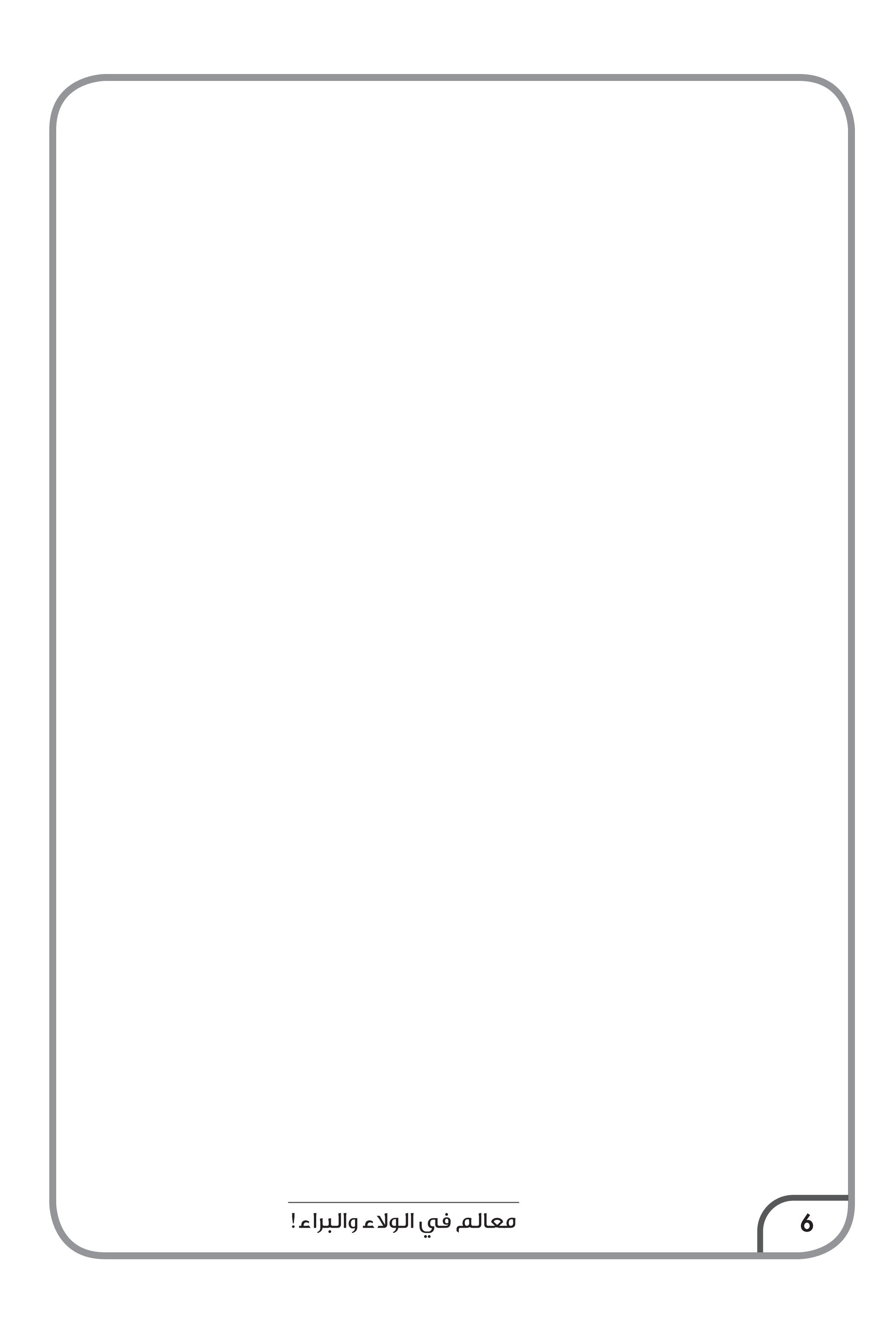
وأيضا الهجمة الشرسة من قبل أعداء اللّه من اليهود والنصارى وأذنابهم للقضاء على بقايا وآثار الولاء والبراء في المناهج الدراسية التي هي في الأصل خاوية قد نالت منها أصابع التحريف والتغيير ما نالت.

وكذلك التضليل الإعلامي الكبير الذي يصور المجاهدين بالإرهابيين والمجرمين، ويصور الغزاة المحتلين بالمنقذين والمحررين، ويظهر الزنادقة الملحدين بمظهر الأبطال والمجاهدين، وانخداع كثير من طغام المسلمين بهذه الدعايات وتأثرهم بها.

فلهذا كله سنذّكر بهذا الأصل ونبين بعض الأخطاء فيه، ونسأل اللّه «عز وجل» التوفيق والسداد.

محمد بن عبد الله الحصم

1430/9/17هـ



معنى الولاء والبراء

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-:

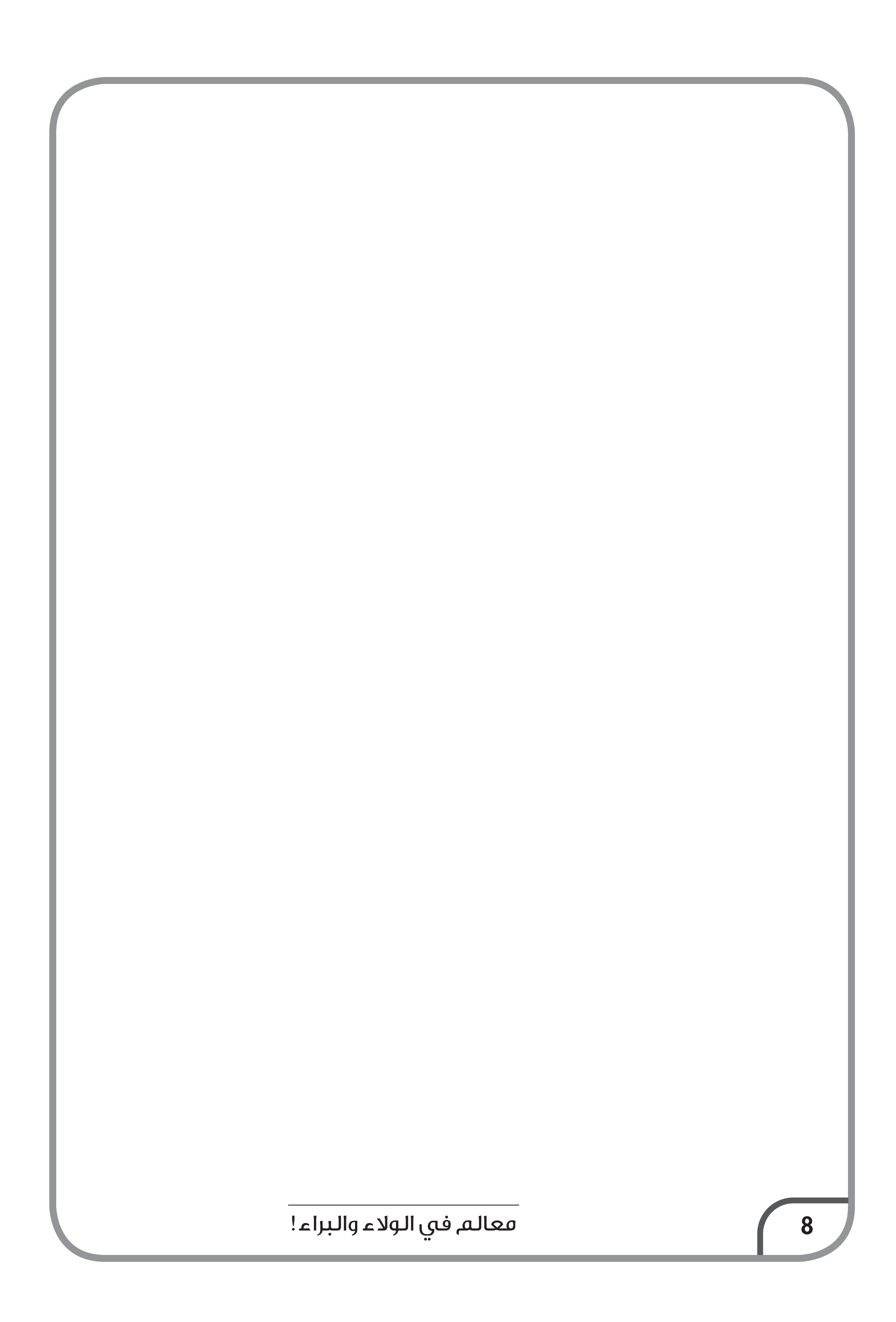
«وأصل الموالاة المحبة كما أن أصل المعاداة البغض، فإن التحاب يوجب التقارب والاتفاق، والتباغض يوجب التباعد والاختلاف، وقد قيل المولى من الولي وهو القرب وهذا يلي هذا أي يقرب منه، والعدو من العدواء وهو البعد ومنه العداوة .

والشيء إذا ولي الشيء ودنا منه وقرب إليه اتصل به، كما أنه إذا عدى عنه ونأى عنه وبعد منه كان ماضياً عنه، فأولياء الله ضد أعدائه، يقربهم منه ويدنيهم إليه، ويتولاهم ويتولونه، ويحبهم ويرحمهم، ويكون عليهم منه صلاة .

وأعداؤه يبعدهم ويلعنهم، وهو إبعاد منه ومن رحمته، ويبغضهم ويغضب عليهم، وهذا شأن المتوالين والمتعادين « . (قاعدة في المحبة 198).

ومما تقدم نستطيع أن نُعرّف الولاء بأنه النصرة والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين باطناً وظاهراً ، فموالاة المؤمنين **تعني:** محبتهم ونصرتهم وإظهار المودة لهم بالقول والفعل.

وأما البراء فهو البعد والخلاص والبغض والعداوة، فالبراءة من الكفار تعني البعد عنهم والخلاص من دينهم قولاً وعملاً وبغضهم وإظهار العداوة لهم .



الولاء والبراء في القرآن الكريم

إذا نظرنا إلى الولاء والبراء في القرآن الكريم وجدنا أنه من أكثر الأحكام تقريرا وتأصيلا، وأن الآيات قد تنوّعت في بيانه وتوضيحه.

فتارة فيها نهي وتحذير من موالاة الكفار، وتارة براءة من اللّه وسخط على من يفعل ذلك، وتارة أخرى تهديد ووعيد بالنار لمن يوالي أعداء اللّه أو يركن إليهم، ومرة أخرى يبين أن من والاهم فهو منهم، أو أن فعله هذا لا يصدر من مؤمن باللّه واليوم الآخر، بل لا يفعله إلا منافق، أو يحكم عليه بالضلال عن سواء السبيل.

وسأذكر طرفاً من هذه الآيات مع شيء من أقوال أهل العلم في تفسيرها:

* **قال تعالى:** ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ (آل عمران 28).

قال الإمام الطبري – رحمه الله –:

ومعنى ذلك: «لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهراً وأنصاراً توالونهم على دينهم، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلونهم على عوراتهم، فإنه من يفعل ذلك ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾

يعني بذلك : فقد برئ من اللّه، وبرئ اللّه منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ﴾ إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مسلم بفعل» (جامع البيان 3/227).

* قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (المائدة51).

أخرج عبد بن حميد عن حذيفة رضي الله عنه قال : ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر، وتلا ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾. (المائدة51) (الدر المنثور 3/100).

وقال الطبري - رحمه الله - :

«ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين فإنه منهم، يقول: فإن من تولاهم ونصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم، فإنه لا يتولى متول أحدا إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض، وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمه حكمه» (جامع البيان 4 / 615).

وقال ابن حزم – رحمه الله – :

صح أن قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ إنما هو على ظاهره بأنه كافر من جملة الكفار فقط وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين". (المحلى 35/13).

وقال العلامة ابن القيم – رحمه الله تعالى – :

" أنه سبحانه قد حكم ولا أحسن من حكمه أنه من تولى اليهود والنصارى فهو منهم﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ (المائدة51) فإذا كان أولياؤهم منهم بنص القرآن كان لهم حكمهم" (أحكام أهل الذمة 195/1).

* قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (التوبة23).

قال القرطبي –رحمه الله– :

"ظاهر هذه الآية أنها خطاب لجميع المؤمنين كافة وهي باقية الحكم إلى يوم القيامة في قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين ... وخص الله سبحانه الآباء والإخوة إذ لا قرابة أقرب منها فنفى الموالاة بينهم كما نفاها بين الناس بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء﴾ ليبين أن القرب قرب الأديان لا قرب الأبدان" (الجامع لأحكام القرآن 86/8).

* **قال تعالى:** ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾. (المائدة)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – :

«فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف «لو» التي تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط فقال: ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب، ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه». (مجموع الفتاوى 17/7).

* **قال تعالى:** ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة22).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – :

«فأخبر أنك لا تجد مؤمناً يوادّ المحادين للّه ورسوله فإن نفس الإيمان ينافي موادّته، كما ينفي أحد الضدين الآخر فإذا وجد الإيمان انتفى ضده وهو موالاة أعداء اللّه، فإذا كان الرجل يوالي أعداء اللّه بقلبه كان ذلك دليلا على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب». (مجموع الفتاوى 17/7).

* وقد أنزل اللّه عز وجل سورة كاملة في الولاء والبراء وهي سورة الممتحنة، بدأها بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾الآية، وختمها بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ١٣﴾.

وضرب اللّه لنا فيها مثلاً بإبراهيم عليه الصلاة والسلام ومن معه آمراً لنا بالاقتداء بهم في براءتهم من أعداء اللّه من الكفار والمشركين وإظهار العداوة والبغضاء لهم فقال سبحانه : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

قال الإمام الطبري - رحمه الله - :

«يقول تعالى ذكره ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ في هذه الأمور التي ذكرناها من مباينته الكفار ومعاداتهم وترك موالاتهم إلا في قول إبراهيم لأبيه ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ فإنه لا أسوة لكم فيه في ذلك، لأن ذلك كان من إبراهيم لأبيه عن موعدة وعدها إياه قبل أن يتبين له أنه عدو الله، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، يقول تعالى ذكره فكذلك أنتم أيها المؤمنون بالله فتبرءوا من أعداء الله من المشركين به ولا تتخذوا منهم أولياء حتى يؤمنوا بالله وحده ويتبرءوا عن عبادة ما سواه وأظهروا لهم العداوة والبغضاء». (جامع البيان 12/59).

وهذه السورة نزلت في قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه وكتابه إلى كفار مكة يخبرهم بما عزم عليه رسول الله ﷺ من غزوهم عام الفتح، كما جاء في الصحيحين من حديث علي رضي الله عنه قال: "بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود قال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة ومعها كتاب فخذوه منها». فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة فإذا نحن بالظعينة فقلنا: أخرجي الكتاب. **فقالت:** ما معي من كتاب. **فقلنا:** لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب. فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل

مكة يخبرهم ببعض أمر رسول اللّه ﷺ فقال رسول اللّه ﷺ: «يا حاطب ما هذا؟» قال: يا رسول اللّه لا تعجل علي إني كنت امرءًا ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي وما فعلت كفرا ولا ارتدادا ولا رضا بالكفر بعد الإسلام فقال رسول اللّه ﷺ: «لقد صدقكم». قال عمر: يا رسول اللّه دعني أضرب عنق هذا المنافق. قال: «إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل اللّه أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

وفي رواية عند الإمام أحمد – رحمه اللّه – أن حاطباً رضي الله عنه قال: «أما إني لم أفعله غشاً لرسول اللّه ﷺ ولا نفاقاً، قد علمت أنه اللّه مظهر رسوله ومتم له أمره، غير أني كنت غريباً بين ظهرانيهم وكانت والدتي معهم فأردت أن أتخذ يداً عندهم» (المسند 350/3).

قال العلامة ابن كثير – رحمه اللّه –:

«وقد ذكر السهيلي أنه كان في كتاب حاطب أن رسول اللّه ﷺ قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم باللّه لو سار إليكم وحده لنصره اللّه عليكم فإنه منجز له ما وعده». (البداية والنهاية 284/4)

فحاطب رضي الله عنه فعل ما فعل وهو على يقين تام أنه لن يضر المؤمنين بذلك، وأن النصر في تلك المعركة محتوم لهم .

فتأمل قوله: «قد علمت أن اللّه مظهر رسوله ومتم له أمره» وقوله: «وأقسم باللّه لو سار إليكم وحده لنصره اللّه عليكم فإنه منجز له ما وعده»، وإنما حمله على ذلك رغبة منه في حفظ أهله وحمايتهم، وكان هذا الفعل منه معصية وكبيرة قد تاب منها رضي الله عنه وكان له من السابقة العظيمة وهو شهوده بدراً ما رجح بهذه السيئة.

فلا يقاس عليه اليوم من يوالون أعداء اللّه من الغزاة المحتلين، ويسعون جاهدين لانتصار الكفار على المسلمين والقضاء على عباد اللّه الصالحين، ويسخّرون جميع إمكاناتهم للتمكين لأعداء اللّه في بلاد المسلمين، ويجيرون إعلامهم لتزيين هذا الباطل والدعاية له، فإن ما فعله حاطب لون وهذا لون آخر ولا يلتبس ذلك إلا على من طمس اللّه بصيرته وأعمى قلبه والعياذ باللّه .

الولاء والبراء في السنة النبوية

أما أحاديث الولاء والبراء في السنة النبوية فأكثر من أن تحصر، فقد كان عليه الصلاة والسلام حريصاً أشد الحرص على تبيين هذا الأصل وترسيخه، وتقوية أسبابه، والنهي عن كل ما يخل به ويضعفه.

فأولاً: التنصيص على الولاء والبراء عند البيعة على الإسلام، وما ذاك إلا ليبين أن الإسلام لا يستقيم إلا بالولاء للمؤمنين والبراءة من المشركين:

فعن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: اشترط عليَّ فقال: «تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتنصح للمسلم، وتبرأ من الكافر». (رواه أحمد 4/363)

وفي رواية: «أبايعك على أن لا تشرك بالله شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتنصح المسلم وتفارق المشرك». (رواه أحمد 4/365)

ثانياً: تقوية الروابط الإيمانية وولاء الإسلام بين المؤمنين: فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وشبك بين أصابعه. (متفق عليه)

وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (متفق عليه).

وعن عبد اللّه بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن رسول اللّه ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان اللّه في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج اللّه عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره اللّه يوم القيامة» (متفق عليه).

ثالثاً: النهي عن كل ما يقطع الولاء أو يضعفه بين المسلمين:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول اللّه ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد اللّه إخوانا» (متفق عليه).

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام « (متفق عليه من حديث أبي أيوب الأنصاري).

ونهى المسلم أن يبيع على بيع أخيه وأن يخطب على خطبته، وهذا أصل عظيم من أصول المعاملات في الإسلام وهو تحريم كل ما يؤدي إلى التنازع والاختلاف.

ونهى عن النميمة وجعلها من الكبائر – وإن كانت صدقا – لما فيها من فساد ذات البين،كما أباح الكذب – وإن كان في الأصل محرما – إذا كان فيه إصلاح ذات البين، فتدبر هذا .. بل قال عليه الصلاة والسلام: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ « قالوا : بلى يارسول الله قال: «إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة» . (رواه أبو داود من حديث أبي الدرداء).

رابعاً: نبذ الروابط والعصبيات الجاهلية والتنفير منها:

فمن الأحاديث التي تنفر من العصبيات الجاهلية بجميع أشكالها وصورها وتحت أي مسمى كانت:

حديث أبي بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «من تعزّى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنّوا» (رواه أحمد والنسائي).

وعن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ في خطبة الوداع قال: «ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع». (رواه مسلم).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي وفاجر شقي، أنتم بنو آدم وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن». (رواه أبو داود والترمذي).

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار. وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فسمع ذاك رسول الله ﷺ فقال: «ما بال دعوى جاهلية ؟!» قالوا يا رسول الله : كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار . فقال : «دعوها فإنها منتنة». (متفق عليه)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – :

«فهذان الاسمان المهاجرون والأنصار اسمان شرعيان جاء بهما الكتاب والسنة وسماهما الله بهما كما سمانا المسلمين من قبل وفي هذا، وانتساب الرجل إلى المهاجرين والأنصار انتساب حسن محمود عند الله وعند رسوله ليس من المباح الذي يقصد به التعريف فقط كالانتساب إلى القبائل والأمصار ولا من المكروه أو المحرم كالانتساب إلى ما يفضي إلى بدعة أو معصية أخرى، ثم مع هذا لما دعا كل واحد منهما طائفة منتصرا بها أنكر النبي ﷺ ذلك وسماها دعوى الجاهلية ... فإذا كان هذا التداعي في الأسماء وفي هذا الانتساب الذي يحبه الله ورسوله فكيف بالتعصب مطلقا والتداعي للنسب والإضافات التي هي إما مباحة أو مكروهة ".

(اقتضاء الصراط المستقيم 71–72).

وقال أيضاً: " فمن تعصب لأهل بلدته أو مذهبه أو طريقته أو قرابته أو لأصدقائه دون غيرهم كانت فيه شعبة من الجاهلية حتى يكون المؤمنون كما أمرهم الله تعالى معتصمين بحبله وكتابه وسنة رسوله فإن كتابهم واحد ودينهم واحد ونبيهم واحد وربهم إله واحد لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون" . (مجموع الفتاوى 28/422-423).

قلت: ومن أعظم دعوى الجاهلية اليوم دعوى الوطنية التي فرقت بين المسلمين على أساس حدود مصطنعة صنعها الاستعمار، حتى أصبحت أكثر موالاة الناس ومعاداتهم على أوطانهم، يتعصّبون لها ويوالون عليها أكثر من ولائهم لربهم ودينهم، ولو تدبّرت أحوال الناس اليوم لوجدت ذلك غالباً على كثير منهم والله المستعان.

ومن ذلك أيضا التعصب للجماعات والأحزاب التي تمثل بعض الاجتهادات والأفكار التي قد تسوغ شرعا، أما عقد الولاء والبراء على ذلك والتحزب والتعصب لمجرد الانتماء لهذه الجماعة أو ذلك الحزب فلا شك أنه من دعوى الجاهلية.

خامساً: قطع أسباب المودة والولاء بين المسلمين والكفار، وذلك بأمور منها :

1- النهي عن السكنى بين ظهرانيهم :

فعن جرير بن عبدالله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «أنا بريئ من كل مسلم يقيم بين ظهراني المشركين « قالوا: ولِمَ يا رسول الله ؟ قال: «لا تراءى ناراهما». (رواه أبو داوود والنسائي والترمذي).

قال في النهاية: « لا تراءى ناراهما» أي يلزم المسلم ويجب عليه أن يباعد منزله عن منزل المشرك ولا ينزل بالموضع الذي إذا أوقدت فيه ناره تلوح وتظهر لنار المشرك إذا أوقدها في منزله ولكن ينزل مع المسلمين في دارهم». (447/2)

وقال العلامة ابن القيم – رحمه الله - :

«والذي يظهر من معنى الحديث: أن النار هي شعار القوم عند النزول وعلامتهم، وهي تدعو إليهم، والطارق يأنس بها، فإذا ألَمَّ بها جاور أهلها وسالمهم» (تهذيب السنن 218/7)

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أن النبي عليه ﷺ قال: «لا يقبل الله عز وجل من مشرك بعدما أسلم عملاً أو يفارق المشركين إلى المسلمين». (رواه أحمد والنسائي وحسنه الألباني)

2- النهي عن التشبه بهم والأمر بمخالفتهم:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى». (رواه الترمذي).

وعن ابن عمر رضي اللّٰه عنهما قال: قال رسول اللّٰه ﷺ : «من تشبه بقوم فهو منهم» (رواه أبو داود).

وعن ابن عمر رضي اللّٰه عنهما عن النبي ﷺ: «خالفوا المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشوارب». (متفق عليه).

وعن شداد بن أوس عن أبيه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: «خالفوا اليهود فإنّهم لا يُصلّون في نعالهم ولا خفافهم». (رواه أبو داود).

والأحاديث في هذا الباب كثيرة ومعلومة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللّٰه - مبيّناً الحكمة من ذلك: «منها أن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسبا وتشاكلا بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال ... ومنها أن المخالفة في الهدي الظاهر توجب مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال والانعطاف إلى أهل الهدى والرضوان وتحقق ما قطع اللّٰه من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين ... ومنها أن مشاركتهم في الهدي

الظاهر توجب الاختلاط الظاهر حتى يرتفع التمييز ظاهرا بين المهديين المرضيين وبين المغضوب عليهم والضالين إلى غير ذلك من الأسباب الحكمية». (اقتضاء الصراط المستقيم 1/11-12).

3- قطع التوارث بين المسلم وقريبه الكافر:

فعن أسامة بن زيد -رضي اللّه عنهما- أن النبي ﷺ قال: « لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم» (متفق عليه).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللّه - : «واتفق المسلمون على أن اليهودي والنصراني لا يرث مسلماً ولو كان ابنه وأباه لأن اللّه قطع الموالاة بينهما». (الجواب الصحيح 2/278)

سادساً: التنبيه إلى منزلة الولاء والبراء في الدين :

كما تقدّم معنا حديث ابن عباس -رضي اللّه عنهما- مرفوعاً: «أوثق عرى الإيمان الموالاة في اللّه والمعاداة في اللّه، والحب في اللّه والبغض في اللّه»، وحديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً: « من أحب للّه وأبغض للّه وأعطى للّه ومنع للّه فقد استكمل الإيمان».

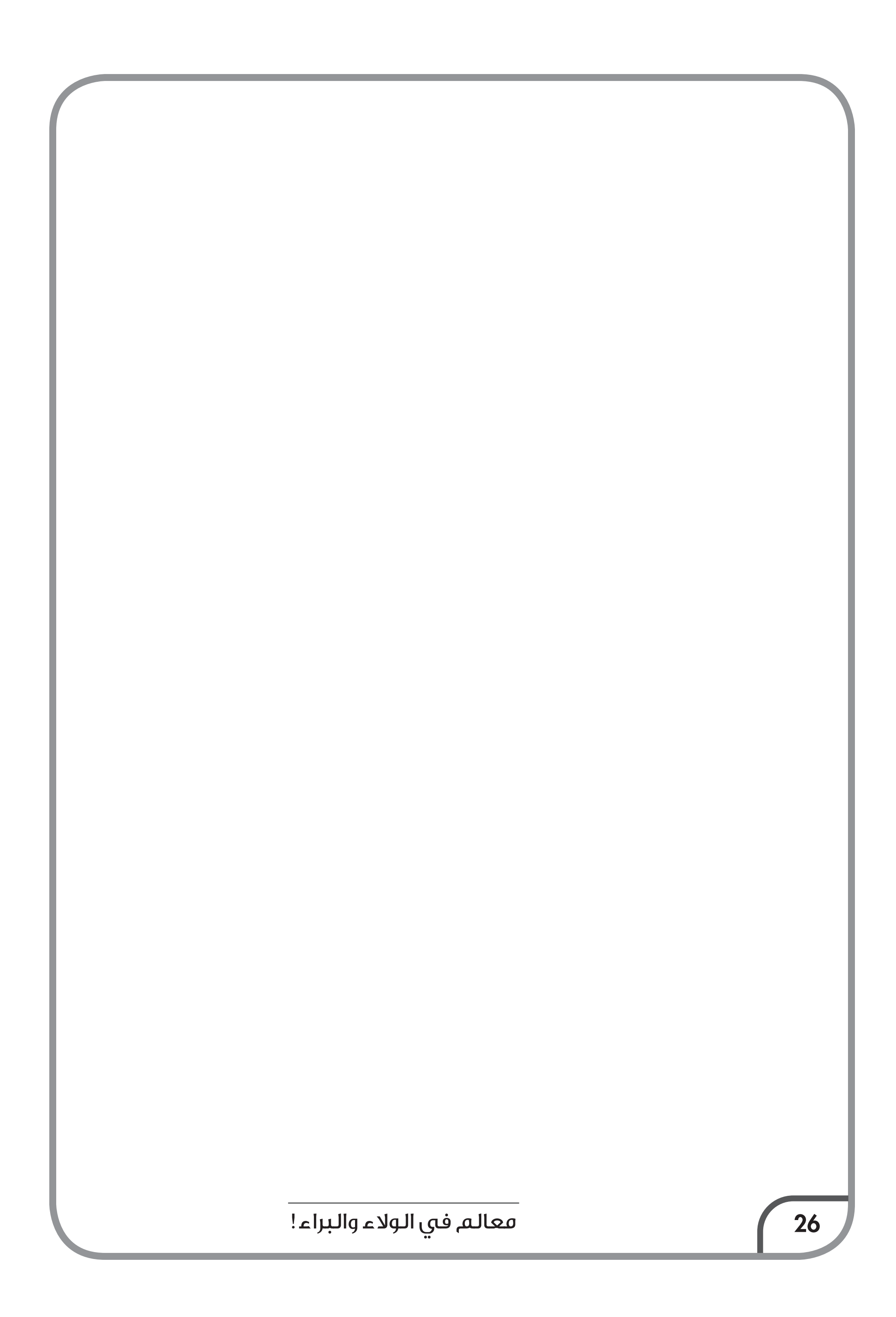
سابعاً: إعلان المصطفى ﷺ براءته من أقربائه المشركين ليكون قدوة لنا في ذلك:

فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ جهاراً غير سر يقول: « ألا إنّ آل أبي – يعني فلاناً – ليسوا لي بأولياء، إنما ولي الله وصالح المؤمنين» (رواه مسلم).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – :

«فأخبر ﷺ عن بطن قريب النسب : أنهم ليسوا بمجرد النسب أولياءه، إنما وليه الله وصالحوا المؤمنين من جميع الأصناف»

(اقتضاء الصراط المستقيم 144/1).



صور من الولاء والبراء في حياة الصحابة

إن هذه التربية النبوية على الولاء والبراء أنشأت جيلاً عظيماً فريداً هو خير الأجيال على الإطلاق وهم الصحابة (رضي الله عنهم)، أولئك الرجال الذين هم خير القرون وأفضل الناس بعد الأنبياء والرسل – صلوات الله وسلامه عليهم –، وكانوا (رضي الله عنهم) أشد المسلمين ولاء وبراء، وأعظمهم حباً وبغضاً في الله تعالى، بل كان الولاء والبراء من أخص صفاتهم، قال تعالى في وصفهم والثناء عليهم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ (الفتح29)

فأول صفة ذكرها الله «عز وجل» لهم على سبيل المدح والثناء هي الولاء والبراء ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ ذكرها قبل العبادة، قبل الركوع والسجود، قال الإمام الطبري – رحمه الله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ غليظة عليهم قلوبهم قليلة بهم رحمتهم، ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ يقول: رقيقة قلوب بعضهم لبعض، لينة أنفسهم لهم، هينة عليهم لهم». (جامع البيان 22/261)

وقال العلامة ابن كثير – رحمه الله – : «وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديداً عنيفاً على الكفار، رحيماً براً بالأخيار، غضوباً عبوساً في وجه الكفار، ضحوكاً بشوشاً في وجه أخيه المؤمن». (تفسير ابن كثير 205/4)

فأصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم هاجروا أوطانهم وتركوا أموالهم محبة لله ورسوله ﷺ ونصرة لدينهم .

وفيهم (رضي الله عنهم) نزل قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة22)

وقد ذكر المفسرون أن قوله: ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ﴾ نزلت في أبي عبيدة بن الجراح قتل أباه يوم بدر، ﴿أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ نزلت في الصدّيق همّ بقتل ابنه عبد الرحمن يوم بدر، ﴿أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ﴾ في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم بدر، ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ﴾ في عمر قتل قريباً له في بدر، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة في بدر أيضاً. (تفسير ابن كثير 421/4)

نعم هكذا تربى الصحابة (رضي الله عنهم) على محبة المسلم وتوليه وإن كان بعيد النسب، وعلى بغض الكافر والبراءة منه وإن كان أقرب قريب.

فسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان بارّاً بأمه حمنة بنت أبي سفيان، فلما علمت بإسلامه قالت له: يا سعد ما هذا الذي أراك قد أحدثت لتدعن دينك هذا أو لا آكل و لا أشرب حتى أموت فتعير بي فيقال يا قاتل أمه. فقال لها: لا تفعلي يا أمه فإني لا أدع ديني هذا لشيء. فمكثت يوما وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت، فمكثت يوما وليلة أخرى لا تأكل، فأصبحت قد اشتد جهدها. فقال لها: يا أمه تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا لشيء فإن شئت فكلي وإن شئت لا تأكلي، فأكلت.

(تفسير ابن كثير 3/586)

ومصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قتل أخاه عبيد بن عمير في بدر وكان في الأسرى أيضاً أخوه أبو عزيز بن عمير، فمرّ به مصعب وقد أسره رجل من الأنصار اسمه أبو اليسر، فقال مصعب للأنصاري: شدّ يدك به فإنّ أمه ذات متاع لعلها تفديه منك. فقال له أبو عزيز: يا أخي هذه وصاتك بي؟ فقال له مصعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنه أخي دونك.

(البداية والنهاية 3 / 307)

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه مرّ به سعيد بن العاص، فقال عمر رضي الله عنه: إنّي أراك كأنّك في نفسك شيء، أراك تظنّ أني قتلت أباك. إني لو قتلته لم أعتذر إليك، ولكني قتلت خالي العاص بن هشام بن المغيرة، فأما أبوك فمررت به وهو يبحث بحث الثور بروقه فحدت عنه وقصد له ابن عمه علي فقتله. (البداية والنهاية 3 / 290)

وكذلك الأنصار (رضي الله عنهم) لما دخل عليهم الإسلام فهموا هذه الحقيقة، فهذا عبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول رضي الله عنه أبوه رأس المنافقين لما بلغه قول أبيه : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، أتى رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالديه مني، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: «بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي فينا».

ولمّا قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبد الله على باب المدينة وجعل الناس يمرون عليه، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي قال له ابنه: وراءك. فقال: مالك ويلك؟ قال: والله لا تجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله، فإنّه العزيز وأنت الذليل، فأذن له رسول الله

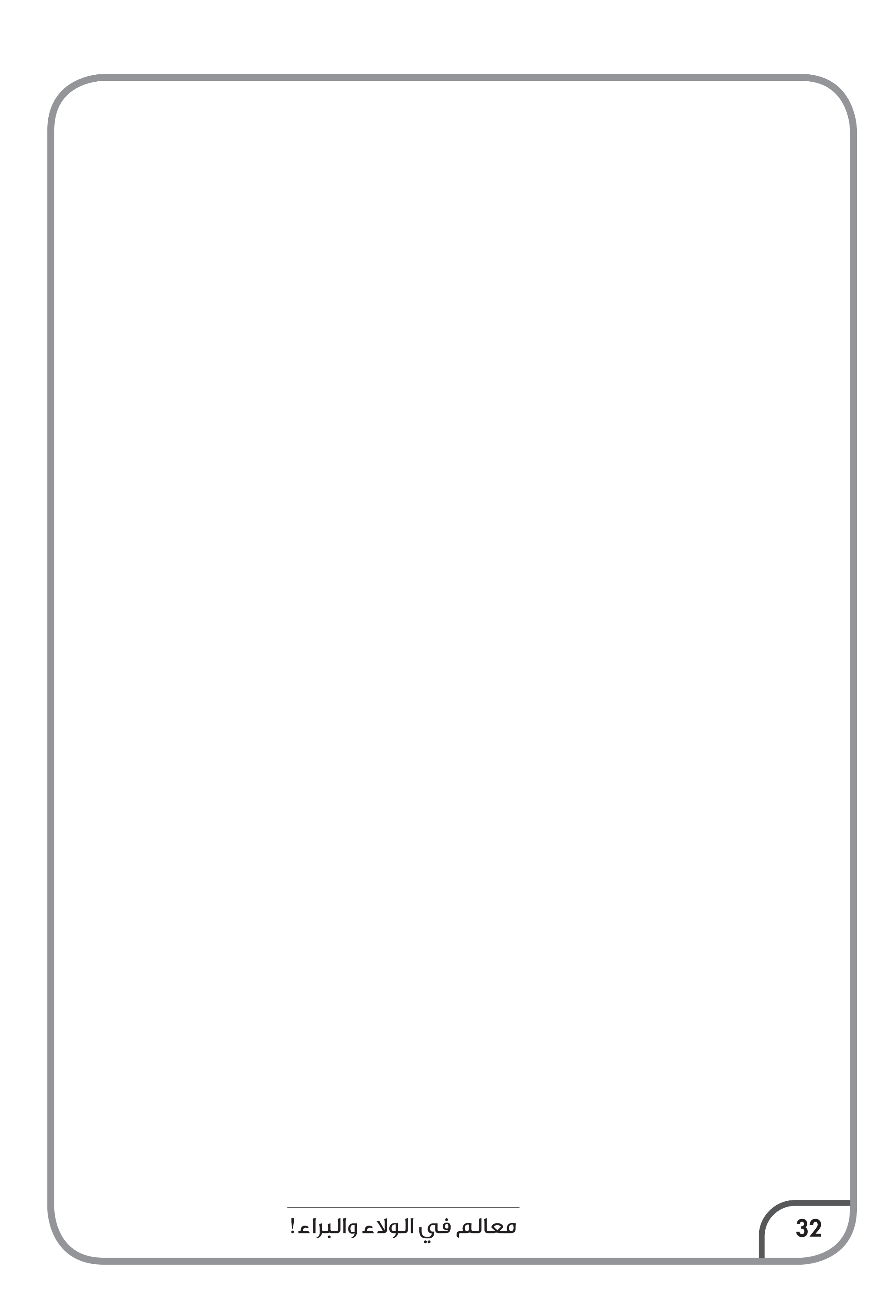
ﷺ. فقال: أما إذ أذن لك رسول اللّٰه فجز الآن. (تفسير ابن كثير 4 / 473)

وهذا محيصة بن مسعود رضي الله عنه لما أمر رسول اللّٰه ﷺ بقتل يهود بني قريظة وثب على ابن سنينة اليهودي أحد تجار اليهود فقتله، وكان هذا التاجر يبايعهم في تجارته، فقال له أخوه حويصة بن مسعود وهو يومئذ مشرك: يا عدو اللّٰه قتلته! أما واللّٰه لرب شحم في بطنك من ماله. فقال له محيصة: لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك. فقال: واللّٰه لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني؟ قال: نعم. فقال: إنّ ديناً بلغ بك هذا لعجب. فأسلم.

وقال في ذلك محيصة:

يلوم ابن أمي لو أمرت بقتله   لطبقت ذفراه بأبيض قاضب
حسام كلون الملح أخلص صقله   متى ما أصوبه فليس بكاذب
وما سرّني أني قتلتك طائعاً   وأن لنا ما بين بصرى ومارب

(سيرة ابن هشام 3 / 326).



موقف المسلم من الكفر وأهله

إن موقف المسلم من الكفر وأهله ينطلق من قاعدة عظيمة وهي استعلاء المسلم بإيمانه، فإن المسلم الصادق الإيمان هو أعلى من غيره في عقيدته وتصوره، وفي صلته وارتباطه، وفي منهجه وهدفه وغايته، وفي شعوره وسلوكه وخلقه، وفي شأنه كله.

يقول الله «عز وجل»: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. (آل عمران 139)

وهذا الاستعلاء نابع من أمرين:

الأول : أنه على الدين الحق والآخرون على الباطل فإنه لا يوجد دين يمكن أن يقبله الله تعالى غير هذا الإسلام الذي بعث الله به نبينا محمدًا ﷺ ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (آل عمران 85).

والأمر الثاني: يستعلي المؤمن بإيمانه لأن الله معه: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾. (محمد 35)

والمسلم يبغض الكفار ويتبرأ منهم لأنهم يكفرون بالله ورسوله ويؤذون الله ورسوله، ولأنهم يطعنون في ديننا، ولأن الله لا يحبهم فنحن كذلك، وأيضاً لأنهم أعداؤنا ولا يريدون لنا الخير أبدا..

لأنهم يبغضوننا ويريدون سلخنا عن ديننا.. يقول ربنا «عزوجل» عنهم:

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۗ﴾ (البقرة 105).

﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ (البقرة 109)

﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾ (البقرة 120)

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾ (البقرة 217)

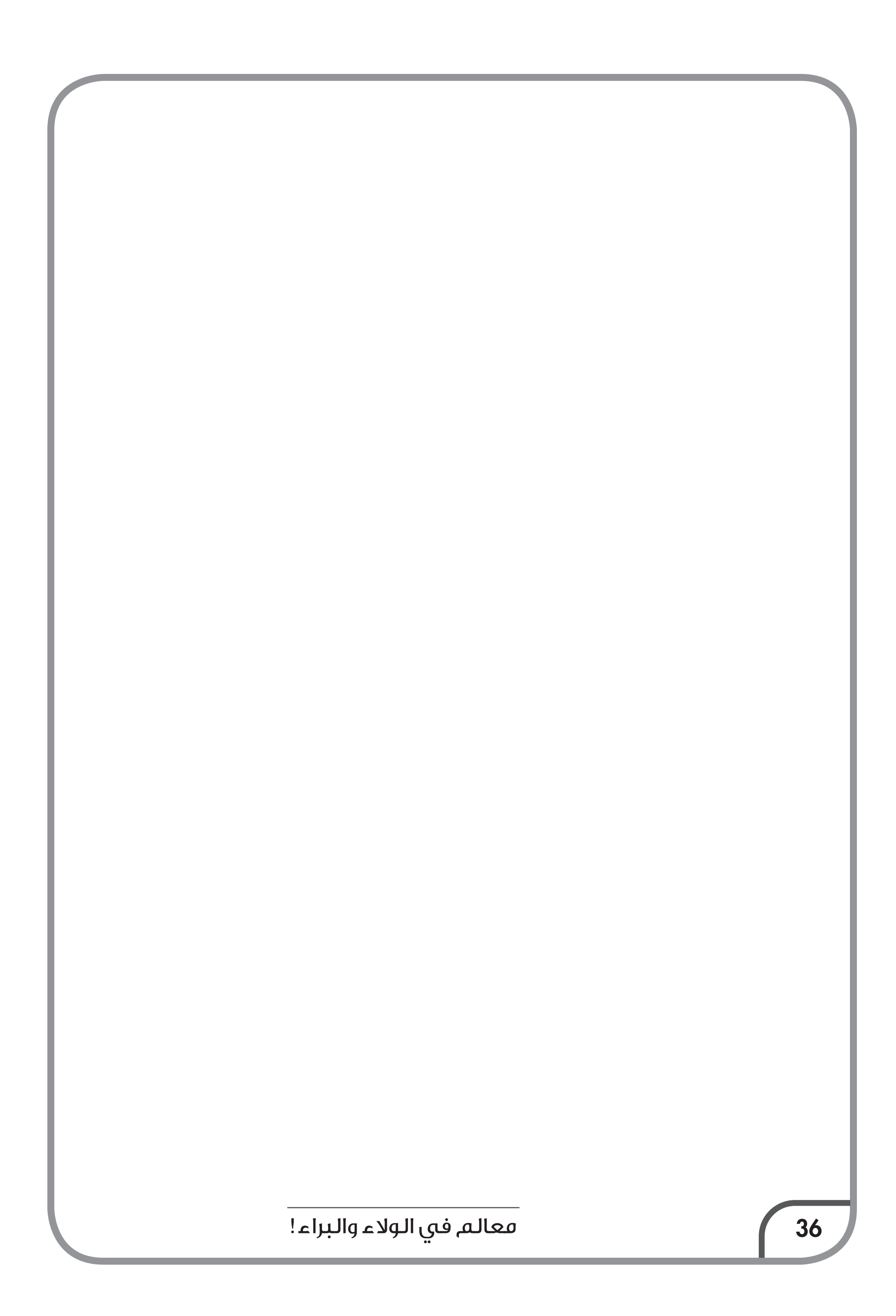
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ﴾ (آل عمران 100)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ (آل عمران 149)

ولكن هذا الاستعلاء وهذا البغض وهذا البراء لا يعني التجبر والظلم بل إن المسلم مطلوب منه التحلي بالعدل والقسط في جميع أحواله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ (المائدة 8)

وكما أن الإسلام دين العدل فهو كذلك دين الرحمة قال الله «عز وجل»: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء107).

فديننا ولله الحمد دين العزة والكرامة، ودين العدل والرحمة فلا يظلم أحدا أبدا بل يعامل بالعدل من كان مسلما ومن لم يكن مسلما .



معاملة الكفار والفرق بين الموالاة وحسن المعاملة

إن الاختلاط بالكفار والتعامل معهم أمر لا بد منه، فقد يكون الكافر زميلا في عمل أو جارا أو قريبا أو تاجرا، أو يحتاج المسلم للسفر إلى بلادهم فكيف يتعامل معهم؟ وهل ينافي هذا التعامل مقتضى الولاء والبراء؟.

والجواب: أن الأصل في التعامل مع الكفار الجواز، وأن التعامل معهم لا ينافي الولاء والبراء إذا لم يكن فيه إلقاء بالمودة والمحبة إليهم.

وهذا ما دل عليه كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ، فاللّه «عز وجل» قد أمر بالعدل والإنصاف في التعامل معهم فقال: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ﴾ (المائدة 2)

أي: لا يحملنكم بغض قوم وعداوتهم مهما كان جرمهم عظيما أن تعتدوا عليهم، بل عليكم الالتزام بالعدل.

ونهى اللّه «عز وجل» عن خيانتهم فقال: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ (الأنفال 58)

وأباح اللّه «عز وجل» لنا ذبائح أهل الكتاب والمحصنات من نسائهم فقال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟

ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾. (المائدة 5)

والآيات في هذا الباب كثيرة معلومة.

وأما في السنة فالأحاديث كثيرة، فقد كان اليهود وغيرهم يعيشون بين المسلمين ويتعاملون معهم في البيع والشراء وغيرها من المعاملات، وقد مات النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعا من شعير.

وثبت عن النبي ﷺ أنه أجاب دعوة خياط يهودي إلى خبز شعير وإهالة سنخة، وروى البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه. فقال له: " أسلم " . فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم. فأسلم. فخرج النبي ﷺ وهو يقول: " الحمد لله الذي أنقذه من النار".

أما تحيتهم والسلام عليهم، فإن كانت بغير لفظ السلام فلا بأس بها كأن يقول له صباح الخير أو مساء الخير أو نحو ذلك، أما تحيتهم بالسلام فالراجح أنه لا يجوز ابتداؤهم بها لقول النبي ﷺ: «لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في

طريق فاضطروه إلى أضيقه» (رواه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، وجوز بعض العلماء ابتداءهم بالسلام لمصلحة راجحة من حاجة تكون له إليه، أو خوف من أذاه، أو لقرابة بينهما، أو لسبب يقتضي ذلك.

أما رد السلام عليهم فالجمهور على وجوبه لعموم قوله «عز وجل»: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (النساء 86)، ولما في الصحيحين عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم». والحديث يدل على أنه لا يشرع الزيادة في رد السلام عليهم، بل يقتصر بقول: وعليكم.

أما تهنئتهم في أعيادهم ومناسباتهم الدينية فلا يجوز لأن فيه إقرارا لما هم عليه من الباطل، وأما الاحتفال معهم في ذلك فهو أشد حرمة لأن فيه زيادة على الإقرار التشبه بهم .

وقال العلماء رحمهم الله في قول النبي ﷺ: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره» (متفق عليه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): إن الجار إذا كان مسلما فله حقان حق الجوار وحق الإسلام وإن كان قريبا فله ثلاثة حقوق، حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة، وإن كان كافرا فله حق واحد هو حق الجوار، فإذا كان الكافر جارا لك تحسن إليه ولا تؤذه في جواره وتتصدق عليه إن كان فقيرا أو تهدي إليه إن كان غنيا وتنصح له فيما ينفعه لأن هذا مما يسبب رغبته في

الإسلام ودخوله فيه.

وعلى كل حال فالبر والصلة والإحسان مع من لم يحاربوا المسلمين ولم يظاهروا عليهم مشروع لقوله «عز وجل»: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الممتحنة)

وهذه الآيات الكريمة أشكلت على بعض الناس فظنوا أنها تخصص آيات البراءة من الكفار وأنّ الكفار الذين يجب التبري منهم ومعاداتهم هم المحاربون فقط دون غيرهم، وهذا فهم مغلوط، فهذه الآية إنّما ترشد إلى البر والصلة وحسن المعاملة مع من لم يحاربوا المسلمين ولم يظاهروا عليهم، والبر والصلة وحسن المعاملة شيء والولاء والمحبة والمودة شيء آخر.

قال العلامة ابن القيم –رحمه الله– :

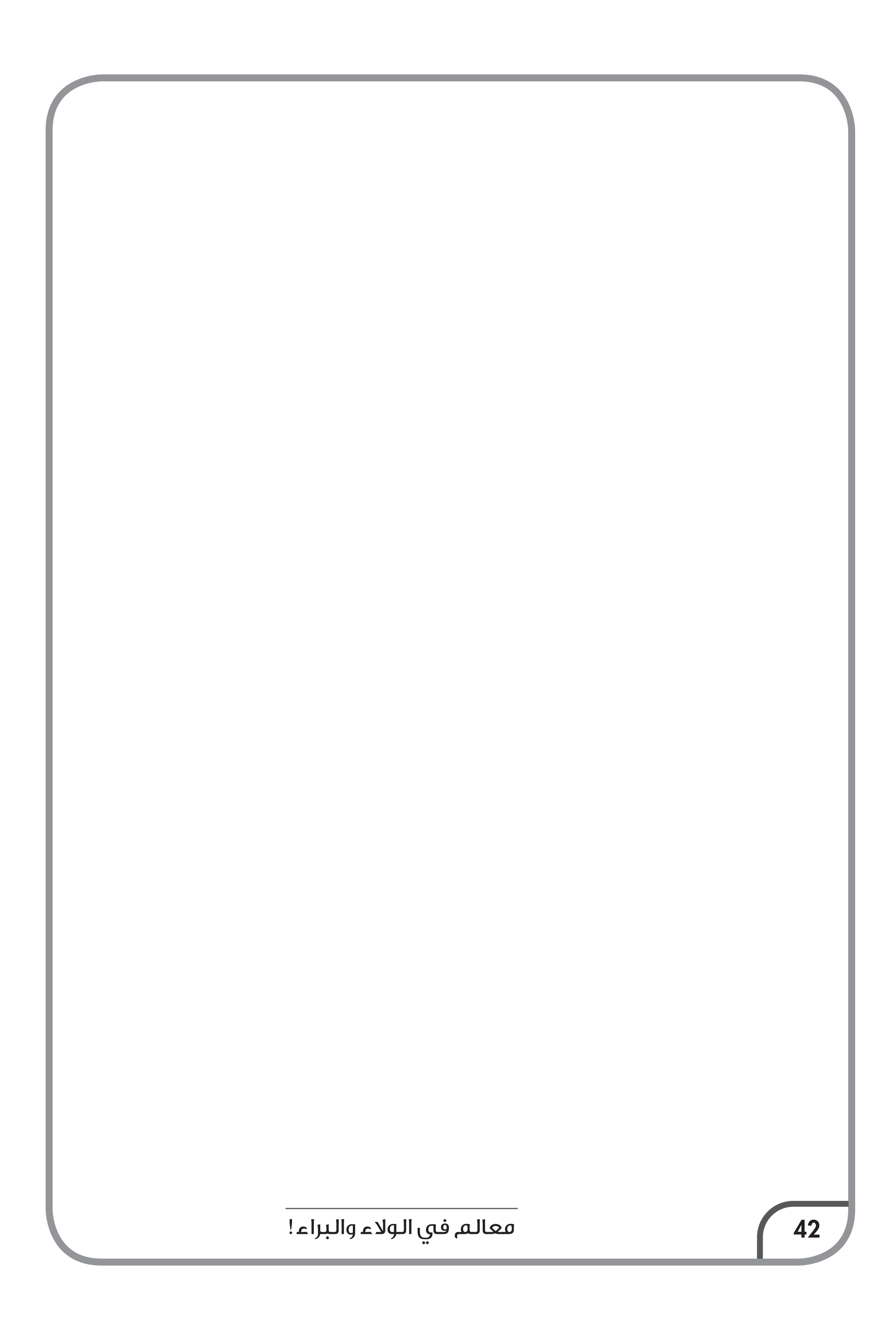
"فإن الله سبحانه لما نهى في أول السورة عن اتخاذ المسلمين الكفار أولياء وقطع المودة بينهم وبينهم توهم بعضهم أن برهم والإحسان إليهم من الموالاة والمودة، فبيّن الله سبحانه أن ذلك

ليس من الموالاة المنهي عنها، وأنه لم ينه عن ذلك، بل هو من الإحسان الذي يحبه ويرضاه، وكتبه على كل شيء، وإنما المنهي عنه تولي الكفار والإلقاء إليهم بالمودة "(أحكام أهل الذمة 1 / 602)

وفي الصحيحين عن أسماء رضي اللّه عنها قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش ومدتهم إذ عاهدوا النبي ﷺ مع ابنها فاستفتيت النبي ﷺ فقلت: إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها. قال: " نعم صلي أمك ".

وقال الإمام ابن حجر -رحمه الله-:

"البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتوادد المنهي عنه" (فتح الباري 5 / 233).



متى تكون موالاة الكفار ناقضاً للإسلام

إن موالاة الكفار ومودّتهم محرمة مطلقاً، لكن موالاة الكفار ليست كفراً على الإطلاق بل قد تكون كفراً وقد تكون معصية.

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله – في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: «وذلك الظلم يكون بحسب التولي، فإن كان تولياً تاماً كان ذلك كفراً مخرجاً عن دائرة الإسلام، وتحت ذلك ما هو غليظ وما هو دونه». (تفسير السعدي 856).

وسوف أذكر هنا فتاوى لأهل العلم في حكم الموالاة المكفرة تاركاً للقارئ أن يقارن بين فتاوى العلماء وأقوال الأدعياء..

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب –رحمه الله– :

«الناقض الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقال الشيخ ابن باز – رحمه الله – :

«وقد أجمع علماء الإسلام على أنّ من ظاهر الكفار على المسلمين وساعدهم عليهم بأي نوع من أنواع المساعدة فهو كافر مثلهم». (فتاوى الشيخ ابن باز 274/1).

وقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن حدود الموالاة التي يكفّر صاحبها وتخرجه من الملة فأجابت :

«موالاة الكفار التي يكفر بها من والاهم هي محبّتهم ونصرتهم على المسلمين لا مجرّد التعامل معهم بالعدل ولا مخالطتهم لدعوتهم للإسلام ولا غشيان مجالسهم والسفر إليهم للبلاغ ونشر الإسلام». (فتوى رقم 6901)

وقال العلامة أحمد شاكر –رحمه الله–:

«أما التعاون مع الإنجليز بأي نوع من أنواع التعاون قلّ أو كثر فهو الردة الجامحة والكفر الصراح، لا يقبل فيه اعتذار ولا ينفع معه تأول، ولا ينجي من حكمه عصبية حمقاء، ولا سياسة خرقاء ولا مجاملة هي النفاق، سواء كان ذلك من أفراد أو حكومات أو زعماء، كلهم في الكفر والردة سواء، إلا من جهل وأخطأ، ثم استدرك أمره فتاب وأخذ سبيل المؤمنين، فأولئك عسى الله أن يتوب عليهم إن أخلصوا من قلوبهم لله لا للسياسة ولا للناس». (كلمة الحق 153)

وقال أيضا –رحمه الله–:

«ألا فليعلم كل مسلم في أي بقعة من بقاع الأرض أنه إذا تعاون مع أعداء الإسلام مستعبدي المسلمين من الإنجليز والفرنسيين

وأحلافهم وأشباههم بأي نوع من أنواع التعاون أو سالمهم فلم يحاربهم بما استطاع فضلاً عن أن ينصرهم بالقول أو العمل على إخوانهم في الدين، إنّه إن فعل شيئاً من ذلك ثم صلى فصلاته باطلة، أو تطهّر بوضوء أو غسل أو تيمّم فطهوره باطل، أو صام فرضاً أو نفلاً فصومه باطل، أو حجّ فحجه باطل، أو أدى زكاة مفروضة أو أخرج صدقة تطوّعاً فزكاته باطلة مردودة عليه، أو تعبّد لربه فعبادته باطلة مردودة عليه، ليس له في شئ من ذلك أجر بل عليه فيه الإثم والوزر». (كلمة الحق 155)

فالحذر الحذر من الشعارات التي ترفع اليوم تنادي بالأواصر والروابط المختلفة، تنادي بالروابط الإنسانية، والإخاء الإنساني بمحبة البشر للبشر، أو ما يسمى بالتقارب بين الأديان فكلها شعارات مزيفة رفعها أعداء الإسلام يريدون بذلك طمس هذه العقيدة في نفوس المسلمين، والله «عز وجل» يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (المائدة)

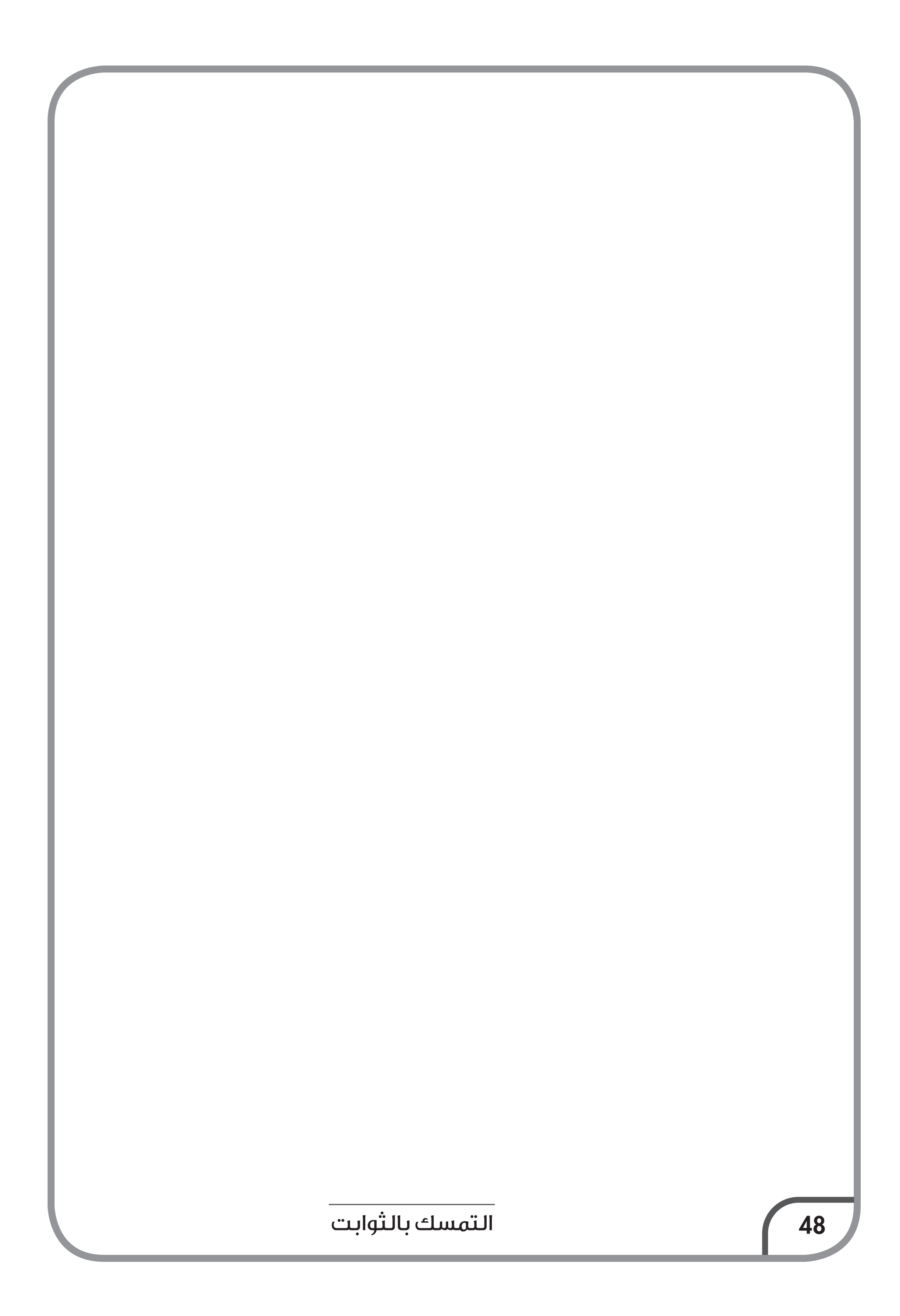
فالولاء والبراء أصدق علامة على سلامة العقيدة ورسوخ الإيمان، قال ابن عقيل - رحمه الله - : إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان، فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع، وضجيجهم في الموقف بلبيك، وإنما انظر إلى مواطأتهم أعداء الشريعة. الآداب الشرعية لابن مفلح 1/ 236.

وختاماً فهذا جهد المقل فما كان فيه من صواب فمن اللّه وحده وله الحمد والمنة، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان واللّه ورسوله منه بريئان، وإنما أردت أن أدلو بدلوي في توضيح هذا الأصل الأصيل الذي اعتراه الكثير من التلبيس والتضليل، مع اعتقادي ويقيني أن اللّه تعالى متم نوره ومظهر دينه وناصر عباده وأن النصر قريب والمستقبل لهذا الدين.

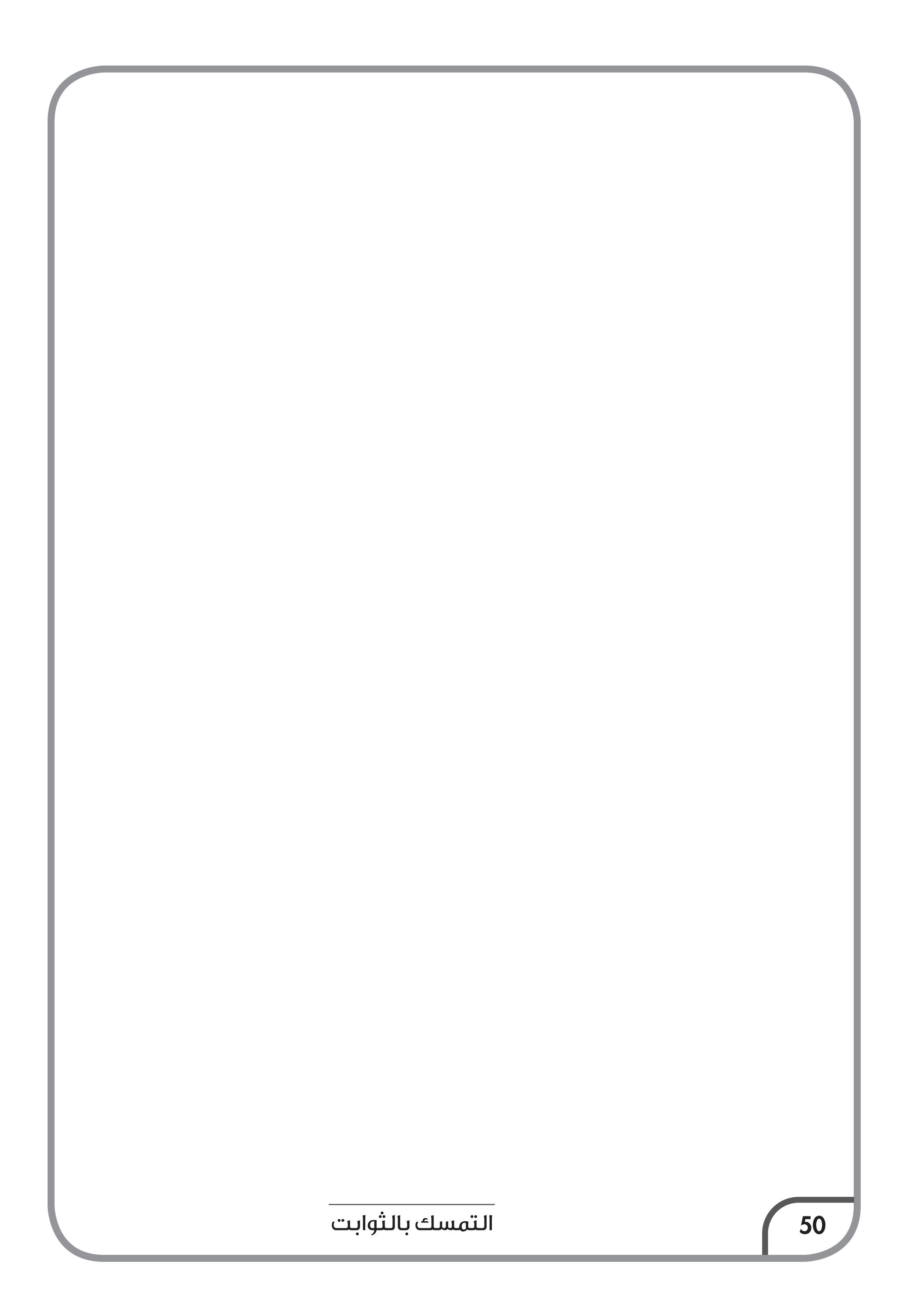
فعلى كل مسلم أن يحقق في ذات نفسه هذا الركن الهام من أركان الدين، وأن يحقق في نفسه عقيدة الولاء فيكون حبه وموادته ونصرته ومؤازرته وتأييده قلبًا وقالبًا، قولاً وعملاً للّه ولرسوله ﷺ وللمؤمنين.

وأسأله سبحانه أن يجعلنا سلما لأوليائه حربا على أعدائه وأن يَتَوفّانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ويحشرنا في زمرة المجاهدين ولا يجعلنا فتنة للكافرين وينجينا برحمته من القوم الظالمين وينصر عباده الموحدين المجاهدين ويرزقنا الشهادة في سبيله مقبلين غير مدبرين غير خزايا ولا مفتونين .. اللهم آمين.

وصلى اللّٰه وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه



التمسك بالثوابت



بسم اللّه الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد للّه كما أمر والصلاة والسلام على خير البشر محمد بن عبداللّه وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد:

فنحن المسلمون لنا ثوابت وأسس ندعو إليها ونؤمن بها، وأعظمها وأكبرها توحيد اللّه «عز وجل» الذي هو زبدة رسالات الرسل وخلاصة دعوتهم، وما يتبع هذا التوحيد من حقوق ومقتضيات كالولاء والبراء وما إلى ذلك.

فتوحيد اللّه «عز وجل» هو قطب الدعوة والهدف الأول والأساس لكل من يدعو لهذا الدين، فلا يمكن أن يكون هذا الأصل والأساس قابلا للتنازل أو المساومة أو المداهنة.

فحديثي في هذه الرسالة الموجزة حول تأصيل هذا المبدأ «التمسك بالثوابت» وبيان أدلته وتطبيقاته والتنبيه على الخطر العظيم والانحراف الكبير لمنهج التنازلات والمساومة بالثوابت.

أسباب طرق مثل هذا الموضوع

دفعني إلى الحديث عن هذا الموضوع عدة أسباب أهمها:

1- وجود الخلل في هذا الجانب عند كثير من العاملين لهذا الدين حتى أصبحنا نرى أشكالاً وأصنافاً من التنازل والمداهنة في واقعنا المعاصر، حتى أخذ ذلك طابعاً دعوياً بل أصبح من القواعد والأصول عند بعض الجماعات الإسلامية، وقد سمعت بأذني من يصرح بهذا المبدأ.

2- خطورة هذا المنهج على أصل مفهوم التوحيد، وكذلك على مستقبل الدعوة الإسلامية لما يترتب عليه من آثار سيئة وقبيحة سأذكرها فيما بعد إن شاء الله.

3- الواقع الذي أوجدته الثورات العربية والقراءة الخطأ لهذا الواقع، فهذه الثورات أثبتت أن قناعات الناس كافية لحصول التغيير حتى في ظل هذه الأنظمة المستبدة، وهذه هي عين دعوة الأنبياء وطريقتهم في التغيير ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾دون أن يكون هناك تنازل أو مداهنة، لكن للأسف لم نفهم هذا بل انجررنا إلى المتابعة على الباطل والإمعان في تغييب الحق عن الناس والاستمرار في منهج التنازلات ومنزلق الديمقراطية حتى ظن كثير من الناس أنها الحق أو أنها من الإسلام أو لا تخالفه في أصله العظيم وهو حاكمية الله «عز وجل».

دعوة النبي ﷺ

لقد بعث اللّه عز وجل نبيه محمداً ﷺ يدعو إلى التوحيد في مجتمع غارق في الشرك والوثنية يرى عبادة الأوثان ديناً يتعصب له ويدعو إليه، وأرسله اللّه عز وجل يدعو إلى مكارم الأخلاق في زمن جاهلية وظلام أصبح الظلم فيه رجولة والسلب شجاعة ووأد البنات فضيلة، وأرسله اللّه عز وجل يدعو إلى العدل والتكافؤ في مجتمع طبقي بلا حدود، وأرسله اللّه عز وجل يدعو إلى حسن التعامل ودفع الضرر في مجتمع قائم على الربا والاستغلال والمقامرة، فلم تكن دعوة النبي ﷺ لتصحيح العقائد فقط بل لتصحيح الحياة كلها في جميع نواحيها الدينية والأخلاقية والاجتماعية الاقتصادية والسياسية وغيرها، ولهذا كانت الرسالة أعظم المهمات وأكثرها مشقة ومن أجل ذلك كان اللّه جل وعلا يختار ويجتبي لها الخلص من عباده.

موقف الكفار من دعوة النبي ﷺ

بطبيعة الحال كان النبي ﷺ سيواجه أرباب ذلك النظام الجاهلي من سدنة الشرك وعباد الشهوات، وبطبيعة الحال أيضاً سيكون لأولئك الملأ ردة فعل وموقف تجاه هذه الدعوة الجديدة الداعية إلى تصحيح الحياة بكافة معاييرها وموازينها، وبخاصة أنها تخالف

الموروث الاجتماعي ودين الآباء والأجداد.

وهذا ما حصل بالفعل.. فقد قوبلت تلك الدعوة بردود فعل عنيفة وضغط قوي لإيقافها وإبطالها بألوان وأساليب شتى.. بالترغيب تارة والفتنة والبطش تارات، وممن تولى كبر ذلك بعض أقارب النبي ﷺ كعمه أبي لهب وهذا يجعل الأمر أشد نكاية على النفس وأعظم حجة للمبطلين في رفض الدعوة وصاحبها.

كيف تعامل النبي ﷺ مع ذلك المجتمع الجاهلي:

لننظر أيها الأحبة كيف تعامل النبي ﷺ مع ذلك النظام والمجتمع الجاهلي ؟!.

هل تعامل معه بطريقة التسلق والانضواء تحت ثوابت ذلك المجتمع ومكتسباته الجاهلية وبخاصة أنه من علية القوم وقادر على الوصول لأعلى المراتب ومواقع التأثير ؟!.

أم هل تنازل النبي ﷺ عن بعض تلك الأسس والثوابت التي يدعو إليها تحت ضغط الواقع المنحرف ؟!.

وهل داهن النبي ﷺ في تلك الأسس والثوابت طمعا في أنصاف الحلول ؟!.

أم أن النبي ﷺ تمسك بثوابته ووضحها وصبر عليها وتحمل

الأذى من أجلها وسد الذرائع والأسباب لتوضيحها وتجليتها، ورفض التنازل عن أي شيء منها حتى آل به هذا المسلك إلى أن رفضه ذلك المجتمع وتمالأ عليه حتى اضطر للخروج والهجرة منه ونقل الدعوة إلى مجتمع آخر ؟!.

لا شك أن النبي ﷺ تمسك بثوابته ولم يرضخ لضغط ذلك الواقع المنحرف ولم يتنازل عن شيء من دعوته أو يداهن في شيء منها طمعاً في هداية الناس أو خوفاً من ضلالهم، وهذا ما أمره اللّٰه به في كتابه.

وقد بين اللّٰه «عز وجل» لنبيه ﷺ الوسائل والأسباب المشروعة التي تتم بها هذه الدعوة على الوجه الذي يرضي اللّٰه «عز وجل»، كما أوجب عليه اتباعها وترك ما سواها.

التمسك بالثوابت أمر إلهي ومنهج نبوي:

الآيات في بيان وجوب التمسك بالثوابت والنهي عن المساومة بالدين كثيرة منها:

سورة الكافرون قال «عز وجل»: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾.

قال القرطبي رحمه الله :

ذكر ابن إسحاق وغيره عن ابن عباس: أن سبب نزولها أن الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبدالمطلب، وأمية بن خلف؛ لقوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد، هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله، فإن كان الذي جئت به خيرا مما بأيدينا، كنا قد شاركناك فيه، وأخذنا بحظنا منه. وإن كان الذي بأيدينا خيرا مما بيدك، كنت قد شركتنا في أمرنا، وأخذت بحظك منه؛ فأنزل الله عز وجل ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾.

وقال أبو صالح عن ابن عباس: أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: لو استلمت بعض هذه الآلهة لصدقناك؛ فنزل جبريل على النبي ﷺ بهذه السورة فيئسوا منه، وآذوه، وآذوا أصحابه. (206/20)

يقول سيد قطب رحمه الله :

وبغير هذه المفاصلة. سيبقى الغبش وتبقى المداهنة ويبقى اللبس ويبقى الترقيع.. والدعوة إلى الإسلام لا تقوم على هذه الأسس المدخولة الواهنة الضعيفة. إنها لا تقوم إلا على الحسم والصراحة والشجاعة والوضوح.. وهذا هو طريق الدعوة الأول: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾

ومن الآيات التي تبين هذا المنهج قوله «عز وجل» :﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾.

قال القرطبي رحمه الله :

قال ابن عباس وعطية والضحاك والسدي: ودوا لو تكفر فيتمادون على كفرهم. وعن ابن عباس أيضا: ودوا لو ترخص لهم فيرخصون لك. وقال الفراء والكلبي: لو تلين فيلينون لك. والادهان: التليين لمن لا ينبغي له التليين؛ قاله الفراء. وقال مجاهد: المعنى ودوا لو ركنت إليهم وتركت الحق فيمالئونك. وقال الربيع بن أنس: ودوا لو تكذب فيكذبون. وقال قتادة: ودوا لو تذهب عن هذا الأمر فيذهبون معك. الحسن: ودوا لو تصانعهم في دينك فيصانعونك في دينهم. وعنه أيضا: ودوا لو ترفض بعض أمرك فيرفضون بعض أمرهم. زيد بن أسلم: لو تنافق وترائي فينافقون ويراؤون. وقيل: ودوا لو تضعف فيضعفون؛ قال أبو جعفر. وقيل: ودوا لو تداهن في دينك فيداهنون في أديانهم؛ قاله القتبي. وعنه: طلبوا منه أن يعبد ألهتهم مدة ويعبدوا إلهه مدة. فهذه آثنا عشر قولا .(202/18)

وقال سيد قطب رحمه الله :

ولقد وردت روايات شتى فيما كان يدهن به المشركون للنبي ﷺ ليدهن لهم ويلين؛ ويترك سب آلهتهم وتسفيه عبادتهم، أو

يتابعهم في شيء مما هم عليه ليتابعوه في دينه، وهم حافظون ماء وجوههم أمام جماهير العرب! على عادة المساومين الباحثين عن أنصاف الحلول! ولكن الرسول ﷺ كان حاسماً في موقفه من دينه، لا يدهن فيه ولا يلين. وهو فيما عدا الدين ألين الخلق جانباً وأحسنهم معاملة وأبرهم بعشيرة وأحرصهم على اليسر والتيسير. فأما الدين فهو الدين! وهو فيه عند توجيه ربه: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾!

ولم يساوم ﷺ في دينه وهو في أحرج المواقف العصيبة في مكة. وهو محاصر بدعوته. وأصحابه القلائل يتخطفون ويعذبون ويؤذون في الله أشد الإيذاء وهم صابرون. ولم يسكت عن كلمة واحدة ينبغي أن تقال في وجوه الأقوياء المتجبرين، تأليفاً لقلوبهم، أو دفعاً لأذاهم. ولم يسكت كذلك عن إيضاح حقيقة تمس العقيدة من قريب أو من بعيد. اهـ

ومن الآيات أيضا قوله «عز وجل» ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾. (الإسراء)

ذكر الإمام الطبري رحمه اللّٰه بسنده عند هذه الآية عن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما:

أن ثقيفا كانوا قالوا للنبي ﷺ: يا رسول اللّٰه أجلنا سنة حتى يهدى لآلهتنا، فإذا قبضنا الذي يهدى لآلهتنا أخذناه، ثم أسلمنا وكسرنا الآلهة، فهم رسول اللّٰه ﷺ أن يعطيهم، وأن يؤجلهم، فقال اللّٰه: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾. (118/8)

وقال سيد قطب رحمه الله :

هذه المحاولات التي عصم اللّٰه منها رسوله، هي محاولات أصحاب السلطان مع أصحاب الدعوات دائماً. محاولة إغرائهم لينحرفوا ولو قليلاً عن استقامة الدعوة وصلابتها. ويرضوا بالحلول الوسط التي يغرونهم بها في مقابل مغانم كثيرة. ومن حملة الدعوات من يفتن بهذا عن دعوته لأنه يرى الأمر هيناً، فأصحاب السلطان لا يطلبون إليه أن يترك دعوته كلية، إنما هم يطلبون تعديلات طفيفة ليلتقي الطرفان في منتصف الطريق. وقد يدخل الشيطان على حامل الدعوة من هذه الثغرة، فيتصور أن خير الدعوة في كسب أصحاب السلطان إليها ولو بالتنازل عن جانب منها!

ولكن الانحراف الطفيف في أول الطريق ينتهي إلى الانحراف

الكامل في نهاية الطريق. وصاحب الدعوة الذي يقبل التسليم في جزء منها ولو يسير، وفي إغفال طرف منها ولو ضئيل، لا يملك أن يقف عند ما سلم به أول مرة. لأن استعداده للتسليم يتزايد كلما رجع خطوة إلى الوراء! ...

وأصحاب السلطان يستدرجون أصحاب الدعوات. فإذا سلموا في الجزء فقدوا هيبتهم وحصانتهم، وعرف المتسلطون ان استمرار المساومة، وارتفاع السعر ينتهيان إلى تسليم الصفقة كلها!

والتسليم في جانب ولو ضئيل من جوانب الدعوة لكسب أصحاب السلطان إلى صفها؛ هو هزيمة روحية بالاعتماد على أصحاب السلطان في نصرة الدعوة. والله وحده هو الذي يعتمد عليه المؤمنون بدعوتهم. ومتى دبت الهزيمة في أعماق السريرة، فلن تنقلب الهزيمة نصراً! اهـ

ومن الآيات قوله «عز وجل»: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾. (الأنعام)

ذكر الطبري بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: مر الملأ من قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم، وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب، ونحوهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء من قومك؟ هؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا؟ أنحن نكون تبعا لهؤلاء؟ اطردهم عنك!

فلعلك إن طردتهم أن نتبعك! فنزلت هذه الآية.

وذكر عن خبّاب، في قول الله تعالى ذكره: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن حصن الفزاريّ، فوجدوا النبيّ ﷺ قاعدًا مع بلال وصهيب وعمار وخباب، في أناس من الضعفاء من المؤمنين. فلما رأوهم حوله حَقَروهم، فأتوه فقالوا: إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلسًا تعرف لنا العرب به فضلَنا، فإنّ وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبُد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت! قال: نعم! قالوا: فاكتب لنا عليك بذلك كتابًا. قال: فدعا بالصحيفة، ودعا عليًّا ليكتب. قال: ونحن قعود في ناحية، إذ نزل جبريل بهذه الآية.

وذكر عن عكرمة في قوله «عز وجل»: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الآية قال: جاء عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، ومطعم بن عدي، والحارث بن نوفل، وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل، في أشراف من بني عبد مناف من الكفار، إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب، لو أن ابن أخيك يطرد عنه موالينا وحلفاءنا، فإنما هم عبيدنا

وعسفاؤنا، كان أعظم في صدورنا، وأطوع له عندنا، وأدنى لاتباعنا إياه، وتصديقنا له! قال: فأتى أبو طالب النبي ﷺ فحدثه بالذي كلموه به، فقال عمر بن الخطاب: لو فعلت ذلك، حتى تنظر ما الذي يريدون، وإلام يصيرون من قولهم؟ فأنزل الله تعالى ذكره هذه الآية. (198/5)

ومن الآيات قوله «عز وجل» : ﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ .

قال ابن كثير رحمه الله :

ذكر غيرُ واحد من المفسرين أن رسول الله ﷺ كان يوما يخاطبُ بعض عظماء قريش، وقد طَمع في إسلامه، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابنُ أم مكتوم–وكان ممن أسلم قديما–فجعل يسأل رسول الله ﷺ عن شيء ويلح عليه، ووَدَّ النبي ﷺ أن لو كف ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل؛ طمعا ورغبة في هدايته. وعَبَس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه، وأقبل على الآخر، فأنزل الله عز وجل: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾ أي: يحصل له زكاة وطهارة في نفسه.﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤﴾ أي: يحصل له اتعاظ وانزجار عن المحارم،﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ أي: أما الغني فأنت تتعرض له لعله يهتدي، ﴿وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ أي ما أنت بمطالب به إذا لم يحصل له

زكاة. (604/4)

فهذه بعض الآيات التي توضح هذا الموضوع وأنه على الداعية أن يتمسك بدينه ولا يتنازل عن شيء منه أو يداهن في شيء منه من أجل مكتسبات دعوية، أو من أجل هداية الناس أو خوفا من ضلالهم، وأن المطلوب منه التذكرة كما قال «عز وجل»: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

الخلاصة

نستخلص مما سبق :

أولاً: التمسك بالثوابت أمر إلهي ومنهج نبوي، وأما التنازل والمداهنة فليس من الدين في شيء، وليست من الحكمة بل من الباطل المذموم.

ثانياً: وجوب اتباع سبيل النبي ﷺ وطريقته في التعامل مع المجتمعات الجاهلية أو النظم الكافرة، وألاّ نتبع الطرق الملتوية ونكلف أنفسنا ما لم نؤمر به أو ما نهينا عنه، فإننا إذا أردنا أن نصل إلى غاياتنا وأهدافنا بطرق وحلة فإن وصلنا فسنصل ملوثين.

ثالثاً: لا يشرع للمسلم أن يداهن في دينه، أو يضر نفسه بالشرك والمعاصي من أجل هداية الناس أو خوفا من ضلالهم، فالمطلوب هو إرشاد الناس وتوجيههم لا إجبارهم على الهدى وتوفيقهم إليه كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ وقال «عز وجل»: ﴿ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴾ .

رابعاً: ما أجمل أن يتصف الدعاة بصفات الأنبياء، وأن يرى الناس منهم الزهد في الدنيا وحطامها، وأن لا يراهم الناس إلا

بثياب نظيفة وأعمال شريفة ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ﴾ ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرًا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾.

نظرة في واقعنا

لنقف على واقعنا اليوم.. ولننظر إلى موقف الإسلاميين من الأنظمة العلمانية التي لا ترفع بالهدى رأسا ولا تقيم للدين وزنا.

هل كان موقفهم المفاصلة والمباينة والبراءة وإظهار العداوة ؟!

أم كان موقفهم الدخول في هذه الأنظمة والمشاركة فيها والتلوث بها ومزاحمة أهلها على ما فيها من مكتسبات باطلة حتى اختلط الحق بالباطل والهدى بالضلال والشرك بالتوحيد ؟!

كم نرى اليوم من صور التنازل والمداهنة التي نالت من توحيد الله وأصول الإسلام الثابتة والولاء والبراء ؟!

إن أعظم هذه الصور هو الانزلاق وراء الديمقراطية..!

نعم. لقد اكتسحنا منافسينا في الانتخابات البرلمانية، واستطعنا أن نحرز بعض المكاسب التي لا تقاس - بميزان الشرع - بما قدمناه من تنازلات تمس توحيد الله «عز وجل»، ولا تقارن بما ترتب عليها من فساد عقائد العامة وتعمية الحق وإضفاء الشرعية على هذه الأنظمة الباطلة!

انظروا إلى واقع الناس اليوم.. كيف ينظرون إلى الديمقراطية؟!

وما هو موقفهم منها ؟!

هل يعلمون مناقضتها للإسلام ؟!

أنى لهم ذلك وهذا الشيخ يقول: الديمقراطية حق والحق جاء به الإسلام؟!.. وذلك الخطيب يقول: الديمقراطية هي الرئة التي نتنفس منها! وذلك الإمام يقول: العيب ليس في الديمقراطية ولكن في تطبيقنا لها! وذلك المفتي يقول: مجلس الأمة وسام على صدر الحكومة!

وأنى يستقر في عقائد الناس تفرد الرب سبحانه وتعالى بالتشريع وأولئك النواب الإسلاميون لا يألون جهدا في تشريع القوانين المختلفة ؟!

ومتى يبغض الناس الديمقراطية وكثير الدعاة يشيدون بها وبأعراسها ؟!

ومتى يبغض الناس أرباب هذه النظم الجاثمين على صدر الأمة الواقفين بينها وبين عزتها ومجدها وجهادها ؟!

متى يبغضهم الناس ونحن نشيد بهم في الصحف ونظهر لهم المحبة والولاء ؟!

وهذا ما حصدناه في الثورات العربية حيث فر الناس من الاستبداد والدكتاتورية إلى الديمقراطية والتعددية ففروا من

جاهلية إلى جاهلية !

والسبب أننا لم نرسخ في نفوس الناس أن كل ما ينشدونه من العدل والحرية والرخاء والاستقرار لا يكون إلا بشريعة الله، ولو أننا فعلنا ذلك من خلال دعوتنا ومنابرنا لفر الناس إليها ولطالبوا بها ولكانت هذه التضحيات في سبيل الله لا في سبيل الديمقراطية.

بل على العكس من ذلك أخذنا بالوسائل التي هي في الأصل محرمة وأعطيناها القدسية ورفعنا الشعارات الباطلة «إلا الدستور»، ورأى الناس منا حماساً وغيرة على مواد الدستور أعظم وأكبر من غيرتنا على أحكام الشريعة، فالتبس الحق بالباطل وضيعت الثوابت وعمي الحق على الناس وإلى الله المشتكى.

نعم. لقد فرحنا بالربيع العربي وكم رأينا في هذه الثورات من البركات، يكفي أن الأمة أصبحت تملك إرادتها وقادرة على اتخاذ قراراتها ومستعدة للتضحية من أجل ذلك، ولكن بدل أن نسير في ركاب الثورة ونصحح مسارها على وفق ثوابتنا ومبادئنا أصبحنا نجاري الشارع الذي كنا سببا في التباس الحق عليه، ونتوارى بالحق الذي عندنا ونكتمه ونتحرج منه فإنا لله وإنا إليه راجعون.

أيها الأحباب الكرام :

إننا نتقبل الخلاف وتتسع له صدورنا ولا نصادر اجتهاد إخواننا، لكننا لا نقبل أبدا لبس الحق بالباطل ولا نرضى أبدا بمنهج المداهنة والترقيع في دين اللّه عز وجل.

إفرازات مسلسل التنازلات

لا شك أن لهذا المسلسل إفرازات قبيحة وثمار خبيثة منها :

1- تشويه الحقائق ولبس الحق بالباطل وضياع البصيرة وخاصة عند عوام الناس.

2- تضييع الولاء والبراء والحب في اللّه والبغض في اللّه اللذين هما أوثق عرى الإيمان.

3- تضارب الجماعات الإسلامية وتناحرها لتفاوت ما تقف عنده من تنازلات.

4- تكوين قاعدة هشة من الأفراد قابلة للتنازل إلى أبعد الحدود، وهذا فعلاً ما أفرزته بعض الجماعات التي تبنت هذا المنهج، فأصبحنا نرى منهم من يدعو إلى تقارب الأديان أو التقارب بين السنة والرافضة إلى غير ذلك.

5- إضعاف الروح الإيمانية عند الأفراد لأنهم فقدوا معاني الثبات والتضحية والصبر، ونتيجة ذلك أفراد لا يقفون عند حد في

تقدير الضرورة ويرتكبون محارم الله بأدنى المصالح.

6- اهتزاز الثوابت عند كثير من الدعاة فأصبحنا نسمع من يقول: الحرية أولا قبل تطبيق الشريعة! أو أن الوقت غير مناسب لتطبيق الشريعة! أو ينتقد من يطالب بالشريعة بحجة أو بأخرى.

واجبنا

سيقول كثير من الناس: ما العمل؟! وما هو المطلوب منّا؟! وليس بأيدينا شيء! أو أننا مغلوبون على أمرنا!

وهذا القول أبطلته الثورات العربية التي بينت بشكل واضح أن تغيير قناعات الناس كاف لحصول التغيير كما حصل في تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا.

وهذه هي طريقة الأنبياء في التغيير وهي البلاغ المبين الواضح الجلي للدين حتى يجد بعد ذلك من ينصره لتحقيق أهدافه وتحكيم شرع اللّه على عباده حتى لو أدى به ذلك رفض المجتمع له أو مجيئه إلى ربه وحيدا أو مع رجل واحد أو رجلين ولكنه ثابت على دينه شامخ بثوابته.

نعم. فليس المقصود ترك العمل والاعتزال عن الحياة العامة، ولكن المقصود تصحيح العمل وفق هذه الثوابت.

وليس المقصود كذلك ترك التوعية السياسية أو إهمال الجانب السياسي أو السكوت عن الفساد، بل لا بد من تأصيل المفاهيم السياسية وبيان الانحراف فيها، والدعوة إلى الأخذ بالشريعة بكافة مجالاتها، ولكن من منابرنا وقنواتنا الشرعية لا المنابر العلمانية ولا بالتلوث بأوضار الديمقراطية.

لقد أثبتت الثورات العربية أننا لو أقنعنا الناس أنه لن يكون لهم استقرار ولن يحصل لهم أمن وأمان ولن اللّٰه يرضى اللّٰه عنهم إلا باتباع شرعه وأن كل ما هم فيه من اختلاف سببه تعطيل الشرع وبينّا محاسن تحكيم الشريعة ومفاسد تعطيلها لفر الناس إليها ولثاروا من أجلها.

فانظر إلى هذه الشعوب لما ظنت أن خلاصها بالديمقراطية ماذا صنعت؟!

كيف اقتلعت أشد الأنظمة فسادا وظلما وصنعت ما عجزنا عن فعله بالبرلمانات؟!

الخاتمة

هذه دعوة للرجوع إلى طريقة الأنبياء صلوات اللّه وسلامه عليهم في التغيير، والاقتداء بهديهم في تصحيحهم لعقائد الناس وسلوكياتهم.

إنها دعوة لمراجعة أنفسنا وتقييم مسيرتنا ولكن بميزان الشرع لا بميزان الشارع، ودعوة للنظر في تحقيقنا لأهداف هذا الدين من التوحيد الخالص وتطهير النفوس من أدران الشرك والعبودية لغير اللّه.

وإني لا أضمن لكم بعد ذلك عند سلوك طريق الأنبياء صلوات اللّه وسلامه عليهم أن لا يصيبكم ما أصابهم من الخوف والفتنة والطرد والتشريد فهذه سنة ماضية ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾.

(محمد).

ولكني أضمن لكم العاقبة الحسنة وميراث الأرض والنصر في الدارين ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

الفهـــرس

رقم الصفحة